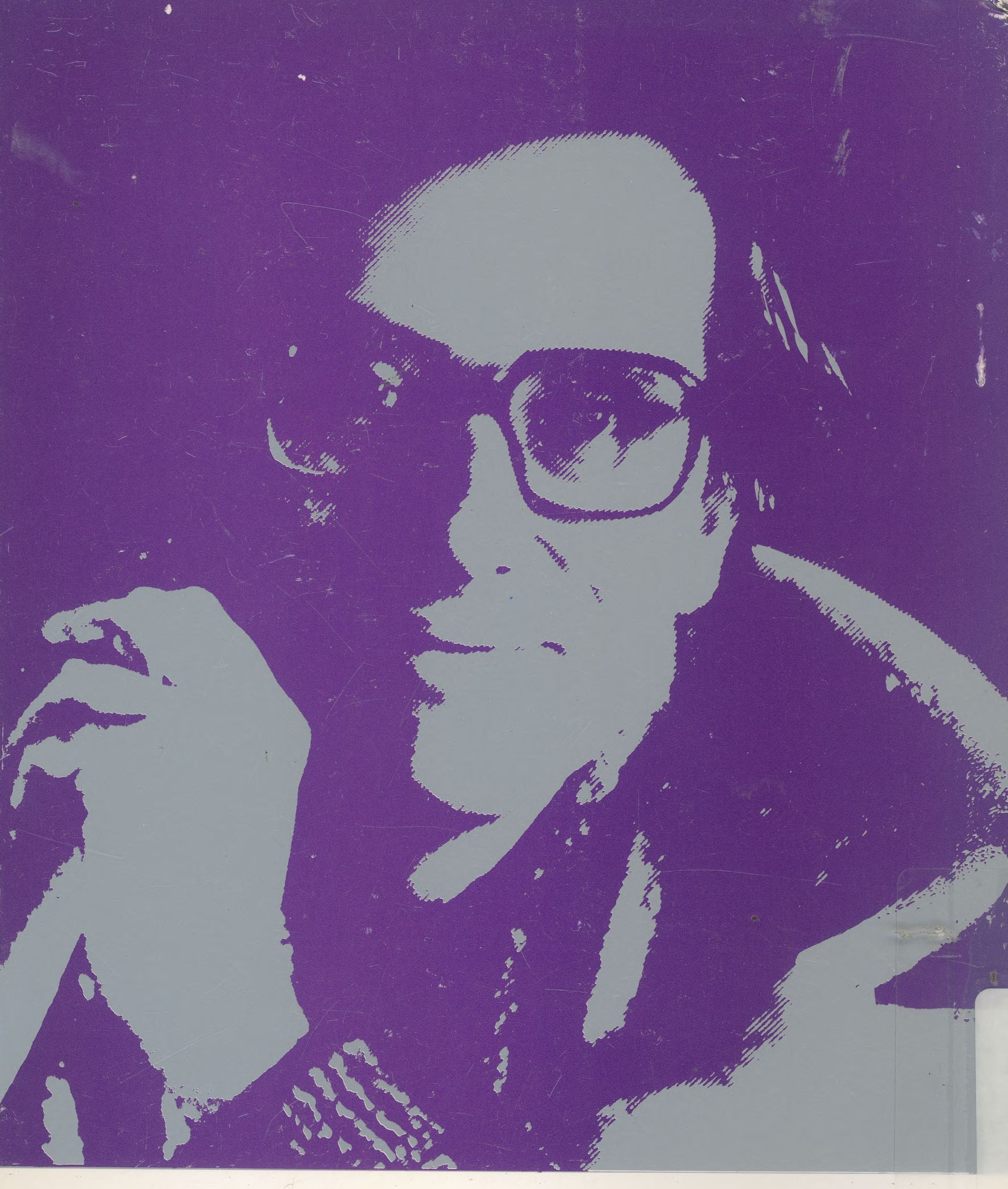


الفالس الاخير في سنتياجو

شعر أرييل دورفمان

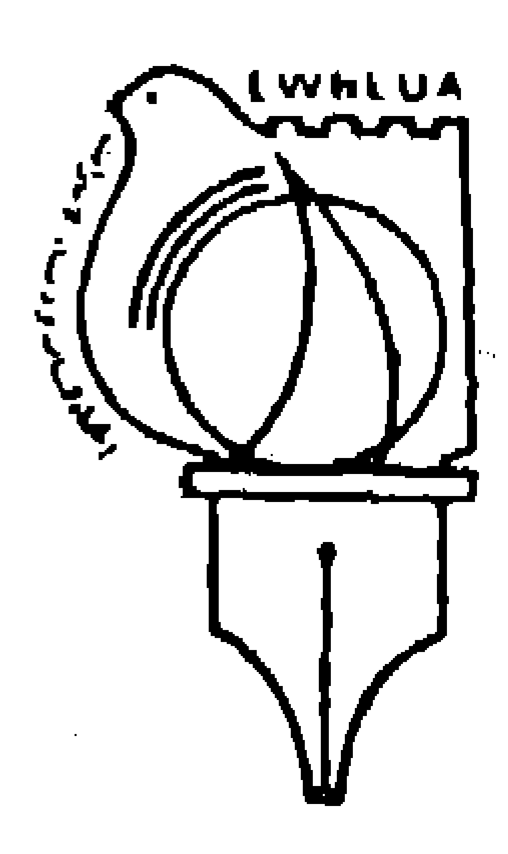
ترجمة كامل يوسف حسين



صدر للشاعر

- الأغنية الأخيرة لمانويل سنديرو.
- الأرامل.
- كيف نقرأ دونالد دك.
- ثياب الامبراطورية العتيقة.

الفالس الاخير في سنتياجو



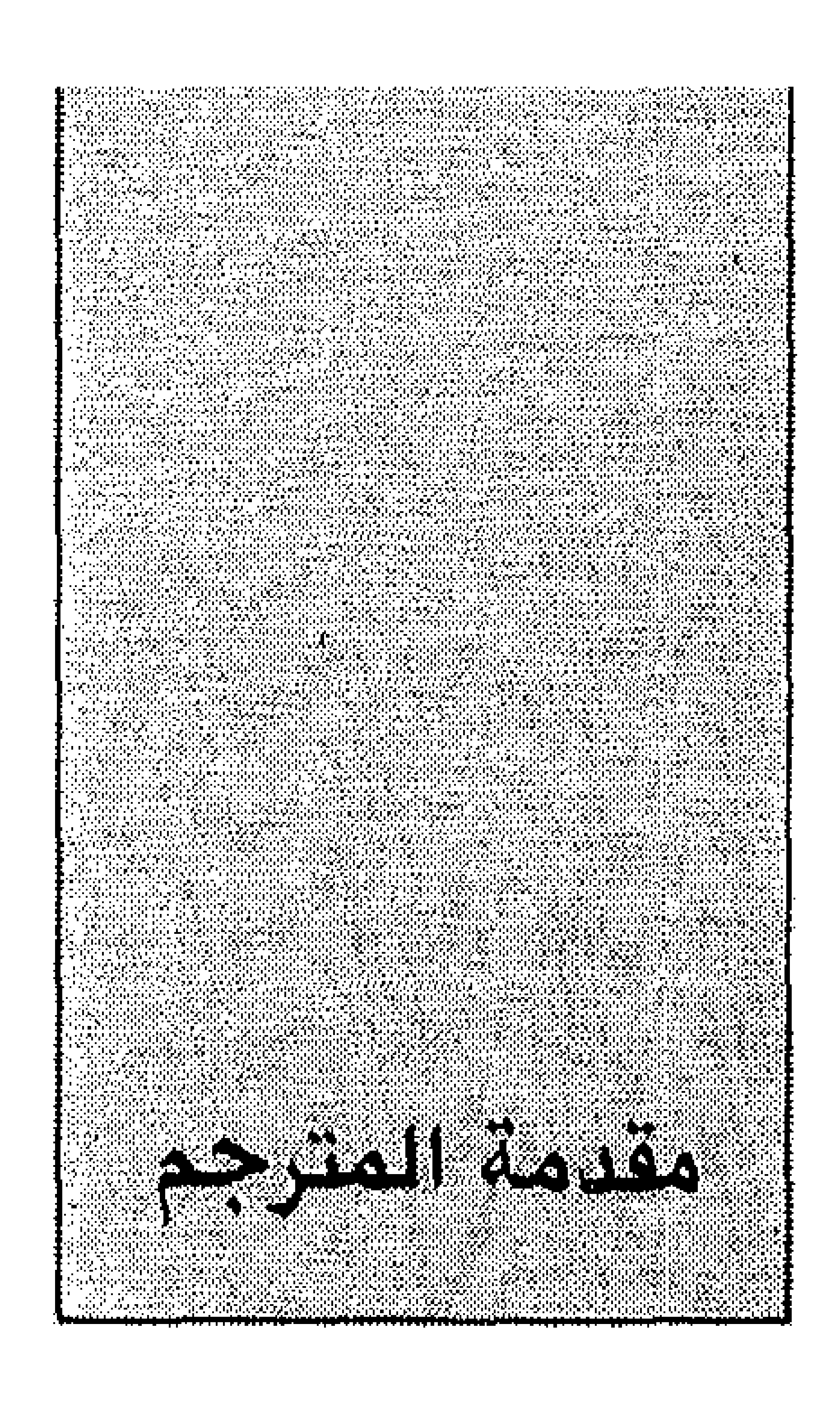
منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
الطبعة الأولى
1990

الفالس الاخير في سنتياجو

وقصائد أخرى للمنفى والاختفاء

شعر أريل دورفمان
ترجمة كامل يوسف حسين

تصميم الغلاف والاخراج
محمد فهمي



مقدمة المترجم

ليس الشاعر الروائي التشيلي أرييل دورفمان بالاسم الجديد على القارئ العربي؛ فقد سبق لنا أن تصدينا لمحاولة التعريف به، وبعالميه الشعري والروائي على السواء، ثم عدنا في مرحلة تالية، فترجمنا جانباً من قصائده، نشر منجَّماً، في عدد من الدوريات العربية.

مع ذلك فتلك، بحسب علمنا، هي المرة الأولى التي تمثل فيها مجموعة متكاملة من قصائده بين يديّ القارئ العربي بلغته. هذه الحقيقة، على وجه الدقة، هي التي ستفرض طبيعة المهام المطروحة علينا، في هذه المقدمة الموجزة، ذلك أن من حق القارئ، الذي لم يقدر له الاطلاع على ذلك التقديم، أو تلك القصائد المنجَّمة، أن نقدم له اطلالة على الحقائق الأساسية، التي تشكل ما يمكن أن نصفه بلوحة خارجية للتعريف بدورفمان، ثم ننتقل إلى تلمس ردود الأفعال، التي قوبلت بها هذه المجموعة من القصائد، على صعيد الساحة الأدبية العالمية، قبل أن نغامر بارتحال محلّق في عالمه الشعري، بعامة، وتجليات هذا العالم، من خلال «القالس الأخير في سنتياجو»، بصفة خاصة.

على الرغم من أن دورفمان شاعر وروائي تشيلي، إلا أنه ولد بالارجنتين، في عام 1942، وقد عرف بتأييده القوي للرئيس السلفادوري الراحل، سلفادور الليندي، واضطر إلى الرحيل إلى المنفى، عقب انقلاب الدكتاتور أوجستو بينو شيه، الذي أطاح بالرئيس الليندي في عام 1973.

ومع أن دورفمان عُرف على الساحة الأدبية العالمية من خلال أشعاره، بصفة أساسية، إلا أن عبقريته الأدبية حلقت به إلى الجمع باقتدار بين العطاء الشعري والابداع النثري، وإن كان اتساع نطاق مساهمته في المجالين الأكاديمي والصحافة قد انعكس في صورة المحدودية النسبية لعدد اصداراته.

هذا النجاح الفريد، الذي حققه دورفمان، في الجمع بين آفاق الشعر والنثر يبدو لنا، في أوضح تجلياته، حينما نلقي نظرة على سلسلة المراجعات المليئة بالإشادة والتقدير، التي قوبلت بها روايته الموسومة «الأغنية الأخيرة لمانويل سنديرو»، التي قال عنها المحرر الأدبي لصحيفة «واشنطن بوست» إنها: «ذات فكرة متألقة، صيغت في إجمالها على نحو عجائبي».

وقد سبق أن قوبلت بالنجاح ذاته الرواية التي أصدرها دورفمان قبل «الأغنية»، وهي رواية «الأرامل».

ولدورفمان عملان نثريان آخران، هما كتاباه «كيف نقرأ دونالد دك» و «ثياب الامبراطورية العتيقة».

ويبدو النجاح الذي توجت به أعمال دورفمان الشعرية والنثرية، على السواء، منعكساً كأوضح ما يكون في الحقيقة المتمثلة في أن تلك الأعمال، على قلتها النسبية، ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة عالمية.

إضافة إلى كتبه تلك، يساهم دورفمان، كما سبق أن لاحظنا، بمقالات وقصائد، تنشر في العديد من المجلات والصحف والدوريات العالمية، من بينها «نيويورك تايمز» و «لوس أنجلوس تايمز» و «زانيشن» و «ڤيلج ڤويس»، كما انه يلقي محاضرات منتظمة، كل خريف، في جامعة ديوك، باعتباره أستاذاً زائراً.

ومن بين أعماله، أثار ديوان «الڤالس الأخير في سنتياجو»، لدى صدوره سواءً أفي طبعته الاسبانية الأصلية أم في ترجماته العديدة، ضجة كبرى، خاصة وأن الجزء الأول من الديوان قد أصدرته منظمة العفو الدولية، الفرع البريطاني، في طبعة خاصة، تحت عنوان «مفقود»، في إطار الادراك العالمي لخصوصية التجربة، التي يحاول دورفمان نقلها، عبر الديوان.

وقد وصف دورفمان بأنه: «واحد من أهم الأصوات التي تتناهى إلينا من أمريكا اللاتينية». وحرص ناشرو الطبعة الانجليزية للديوان على ايجاز عالم دورفمان، كما فهموا أبعاده، فأشاروا إلى أنه «في عالم الشاعر التشيلي المنفي أرييل دورفمان يختار الرجال والنساء بين مغادرة بلادهم والموت من أجلها، ويمكن لمن يبقون على قيد الحياة أن يفقدوا

كل شيء، لكن ما يتشبثون به، الحب، الإيمان، الأمل، الحقيقة... يمكن أن يغير العالم».

أما مرجريت أتوود فقد ذهبت إلى وصف «القالس الأخير» بأنه: «مجموعة قصائد تمس القلب بعمق، نظمها واحد من أهم كتّاب تشيلي، دون العذاب والعجز، اللذين لا يزالان يختزلان تشيلي المعاصرة. ديوان شديد الوضوح، وفي الوقت نفسه مشع، على نحو مذهل».

ويتناول دينسي ليڤرتوف ملمحاً آخر في الديوان، يلقي الضوء عليه بقوله: «إن شهادات أرييل دورفمان، عن الألم والحنق، هي قصائد بالمعنى الحقيقي، ولسوف تدوم أكثر مما يحيا القهر، العذاب، وبؤس المنفى، الذي تتحدث عنه. إن الكثيرين مستدعون للكتابة عن هذه الموضوعات. ولكن قلة هي التي تختار، ودورفمان واحد من هذه القلة».

وربما قدر لبريتين بريتينباخ أن يتوّج الأصداء الدولية، التي أثارها هذا الديوان، في طبعاته العديدة، وأن يصيب كبد الحقيقة، في الوقت نفسه، بقوله: «طالما أن قصائد من هذا النوع تنظم وتنشر، فإن الكلمة الأخيرة لن تكون لطغاة العالم».

ولعلنا لا نجافي الصواب كثيراً، إذا ما تصورنا أن هذه الأصداء العالمية التي أثارها ديوان «القالس الأخير في سنتياجو» تلقي لنا الضوء على نقطة الانطلاق الصحيحة إلى عالم دورفمان الشعري.

إن دورفمان يحاول أن ينقل لنا تجربة شديدة الخصوصية، ولكن خصوصيتها تلك هي في الوقت نفسه التي تتشامخ بها، إلى حد الوثوب إلى علياء التجربة الكونية، التي تحلق إلى آفاق طرح تفسير كلي للوجود الإنساني.

إنّا هنا مع دورفمان دائماً وحتى في المنفى تحت سقف العالم الكابوسي لنظام الديكتاتور التشيلي اوجستو بينوشيه، الذي يكرس الموت والقهر طريقة للحياة، ويطوّب العدم منهاجاً للوجود، مروراً بالمراقبة، الترصد، التحرش، الاعتقال، السجن، التعذيب، الاغتصاب، الارهاب، فرق الموت، الاختفاء، النفي... والجنون.

مثل هذا العالم قد يستحيل نسيجه، بين يديّ شاعر أقل موهبة واقتداراً من دورفمان، ليكتسب نغمة الفجيعة، التي تتحول إلى شرفة للوثوب إلى، أو بالأحرى للسقوط في، الميلودراما.

ولكن مع دورفمان تكتسب هذه التجربة أبعاداً أخرى متميزة، وتكتسي لغة مختلفة، وتمتشق لنفسها قواماً مفارقاً، وحضوراً مبايناً.

ربما لهذا، بالضبط، فإن دورفمان، الذي شارك في ترجمة الديوان من الاسبانية إلى

الانجليزية، يفصح عن اهتمام بالغ لا بجوهر التجربة فحسب، وإنما في المقام الأول بالإطار اللغوي، الذي تطل علينا القصائد من شرفته، اهتمام يوشك أن يصل إلى حد الاستحواذ.

وهو في إطار هذا الاهتمام ينصف، ولو لمرة في عالمنا شديد التحامل، كل المترجمين، من خلال تقريره للحقيقة، التي عرفها كل من حاولوا ترجمة الشعر: إن ترجمة القصيدة ليست بالعمل الهين قط، وهو يلفت نظرنا إلى كلمتين محددتين، يقول إنهما تتحديان محاولات النقل من الاسبانية إلى اللغات الأخرى..

ويشير إلى أنه مما له مغزاه أن إحدى الكلمتين تنتمي إلى عالم الرعب، والأخرى إلى رحاب الأمل، وهما تجربتان يحرص على أن يؤكد لنا أنهما، في اميركا اللاتينية، اليوم، متداخلتان، على نحو لا فكاك منه.

أما الكلمة الأولى فهي «بودارارا» PAU D'ARARA، التي نقلناها كما هي، حينما ترجمنا النص إلى العربية، بينما الكلمة الثانية هي «كومبانيرو» COMPANERO، التي ترجمناها بلفظ «رفيق» العربي، وإن لم نرض كل الرضا عن هذا اللفظ الأخير، كترجمة ناجحة، نظراً لما يكتسبه في اللغة العربية من دلالات سياسية معينة، ونظراً لعرض معاني اللفظ الاسباني، في الوقت نفسه.

ولمن لا يعرف، فإنه في عالمنا العربي، كما في أميركا اللاتينية، ليست «البودارارا» إلا تعبيراً طفا من أعماق الجحيم، في الستينات من القرن الحالي، للإشارة إلى أسلوب في التعذيب استخدم في البرازيل أولاً ثم جرى تصديره، في وقت لاحق، إلى مناطق أخرى عديدة، من عالمنا المعاصر، حيث يتم ربط يديّ وقدميّ الضحية معاً، ويعلق عارياً، من عصا أفقية، أما بقية السيناريو فهي أشهر من أن نقوم بالتعريف بها هنا.

وكلمة «كومبانيرو» قد تنصرف إلى الرجل أو إلى المرأة، على السواء، ويمكن ــ في الاسبانية ــ أن تفهم بمعنى زميل في الإقامة، صديق، رفيق، أو صاحب. لكن أياً من هذه المترادفات لا يتمتع بالصدى الخاص، المتميز، لكلمة «كومبانيرو» في اللغة الاسبانية، التي تعني في أصولها العريقة الشخص الذي نقتسم وإياه الخبز.

ويحرص دورفمان على أن يؤكد لنا أنه في غالب الأحوال، فإن أولئك الذين يحاولون جعل العالم مكاناً يمكن لنا فيه أن نكون جميعاً «كومبانيرو»، بالمعنى الاسباني العريق، أولئك الذين يحلمون بالمستقبل، هم الذين ينتهون بأن يشقوا طريقهم ليصبحوا من ضحايا... «البودارارا».

هذه التجربة، أو فلنقل التجارب، التي هي خلاصة الوجود في ظل طريقة حياة تجعل

الموت دستوراً لها، يتم الرحيل عبر ريشة دورفمان السحرية خلالها.

إننا نواجه هنا الكيفية التي يحيا بها الصغار، الكبار، الأرامل، المفقودون، الزوجات، الأبناء، الأخوة، الأمهات، الأقارب، والعشاق تحت سقف الرعب، الذي يكرسه نظام بينوشيه سقفاً لعالمهم، ويواصل مطاردتهم بحضوره الكابوسي، حتى في المنفى.

ومن هذه المنمنمات السحرية الدقيقة تتكامل لوحة بعرض الحياة ذاتها، حياتنا. وهذه اللوحة ليست صورة طبيعية، أو واقعية، أو نسخة من الواقع المعاش هناك، وإنما هي نتاج فهم، استيعاب، مداخلة الشاعر مع هذا الواقع، وتصوره له، هكذا فإنها بقدر واقعيتها تبدو مفارقة للواقع، ومفارقة له ربما إلى حد الهذيان.

وكل تجربة من هذه التجارب الجزئية تملك خصوصيتها، فهي تجربة فرد أو مجموعة أفراد، عائلة أو صحبة من الأصدقاء، بل وربما مجموعة من الأطفال، وباختصار فإنها تجربة بشر بعينهم، تحددت، من حيث الزمان والمكان، بأرض تشيلي في ظل حكم بينوشيه، أو فلنقل تحت ظلال الرعب، الوحشية، التي تصهرها شركات النحاس الأميركية، لكنها في الوقت نفسه تجربة من العمق والعرض، بحيث تملك عبقرية التماهي مع أي تجربة لأناس يحيون تحت ظلال القهر والطغيان والموت جاحظ العينين، في أي مكان من عالمنا المعاصر.

هذا الرحيل المذهل بين الخاص والعام، بين الجزئي والكوني، بين الانقطاع والتجاوز، هو النسيج الذي تجترحه عبقرية دورفمان.

مع ذلك، فإن الشاعر التشيلي المتميز لا يضعنا أمام متاهة، نضرب في رحابها حد الهذيان، وإنما هو، منذ البداية، يحرص على أن ينير لنا طريقنا، أو إن شئنا الدقة، يحرص على أن يقدم لنا خارطة اللحاق به، وذلك على وجه التحديد في قصيدته الافتتاحية الموسومة «ترجمة فورية».

في هذه القصيدة، يحدثنا الشاعر بأنه يتصور لنفسه دوراً، أقرب ما يكون إلى دور المترجمين، القائمين بالترجمة الفورية، في المؤتمرات الدولية، فهو يرى انه لا يأتي بشيء من عدم، وإنما هو يروي فحسب ـ بلغته ـ تجارب أولئك الناس الذين كان عليهم أن يتحدثوا مع نظام بينوشيه، باللغة عينها التي تتحاور بها العين مع المخرز. لكن الحوار لا يقف هنا؛ لأن العدم لا يملك رفاهية فرض نفسه للأبد، طالما أن هناك إرادة لبشر يصرون على الحياة، التي يستحقها البشر عند المنعطف الرابع للقرن العشرين، بشر مثل ذلك الفلاح من «تالكا»، الذي يروي عن التعذيب في تشيلي فينقل الشاعر عنه للدنيا كيف أن الكهرباء تترك في البدن والروح ذلك الارتجاج الذي يدوم أبداً.

وفي غمار ذلك، لا يسقط أي منهما ـ الفلاح أو الشاعر ـ في هوة الميلودراما، ولا يتردى إلى الرثاء للذات؛ ربما لأن هذا الرثاء للذات هو لغة المهزومين، وهي لغة يرفض كل منهما أن تكون لغته، أو أن يقارب مفرداتها.

وهذه القصيدة، العصية على الترجمة حقاً، لا تقدم لنا منهاج الشاعر في تناول موضوعاته فحسب، وإنما طريقته كذلك في التعامل مع اللغة، التي تم بها هذا التناول.

كيف؟

علامة الاستفهام تلك قد نأخذ بسبل تملك ناصيتها، إذا تذكرنا أن الشاعر يحرص على أن يعتذر لنا عما قد نجده من روي أو ايقاعات في أشعاره.

هكذا، فإن دورفمان يقدم لنا إعلاناً عن الرحيل الباتر، عن تقاليد الشعر الصافي، الذي ظل الجيل السابق له مباشرة في العديد من أرجاء أميركا اللاتينية أسرى في قبضته، حتى في لحظات تمردهم عليه.

وبالمقابل فإن التجرد من تلك الجماليات الخارجية والاكتساء بجماليات أخرى متميزة، في غمار المطاردة اللاهثة للتجربة، تلك المطاردة التي تذكرنا بالامتلاك الباطش لقلب الأشياء في قصائد الهايكو اليابانية، في أرفع تقاليدها، لا يعني عند دورفمان أن تكتسي القصيدة بذلك الحشد من الأبواق والضجيج الذي تصور البعض، في وقت من الأوقات، أنه جوهر الشعر السياسي، فكان ما وصلوا إليه، في نهاية المطاف، فشلاً في الشعر وإخفاقاً في التعبير السياسي.

ويستقطب النظر، هنا، على نحو خاص، ذلك التقسيم الثلاثي للديوان، فالجزء الأول يخصص بشكل قاطع للحديث عن تجربة الفقد، بالمعنى الذي وصل إلى أعلى قممه في أميركا اللاتينية، وإن كان منتشراً في أجزاء أخرى من عالمنا. هنا تبدو صدمة تعرض العين المباشر للمخرز، واختلاجات البحث عن قوى المقاومة الدفينة، وتقلقل الكائن تحت سقف كون الموت والعدم، الذي فرضته شركات النحاس الأميركية، وذلك من خلال حشده لعلامات استفهام تملأ الأفق، تشكل الخطوة الأولى في مراحل تحول الكائن داخل القوقعة إلى مخلوق جديد.

في الجزء الثاني من الديوان يتم الارتحال في رحاب البحث عن التشكل المناقض، القادر على أن يعيد للكون الاتزان، من خلال تكريس المقاومة وسيلة للوجود. هنا النقد الذاتي، وهنا الحديث عن التنظيم، هنا الدعوة إلى الحملات، هنا الضغط باتجاه سائر أشكال المقاومة.

وفي القصيدة الوحيدة، في القسم الثالث والأخير من الديوان، تتخايل مطالع تمزق النور والظلمة، الذي يسبق السَحَر. هنا يبدأ الوصول إلى الوعي الحقيقي بوضع الكائن الجديد، وبسبل تحطيمه للقوقعة القديمة، وطرق الإنطلاق من تحت السقف العدمي للطغيان، في انعتاق باتر من آخر آثار الوعي الشقي.

بالنسبة لكاتب هذه الكلمات، كانت تلك الإطلالة التي يمنحها لنا دورفمان، بعيداً عن الوعي الشقي، هي مبرر اجتياز العناء القاهر، في ترجمة هذه القصائد، ومحاولة دفعها للنور.

... ولعلها تستحق ما يتكبده القارئ العربي من عناء، أيضاً.

المترجم
الشارقة في 1988/11/9

الجزء الأول

أن تَفْتَقِدْ،
تُفْتَقَدْ،
تعيش في رحاب الفقدان.

مُفْتَتَح أول

ترجمة فورية

قريب الشبه أنا بالمترجمين،
في حجيراتهم الزجاجية،
بمؤتمرات دولية، اللانهاية مداها،
أترجم ما يحكيه فلاح «تالكا» ذاك،
عن التعذيب،
أكرر، بالانجليزية، أنهم شبحوه على السرير النقّال،
أعلن، بأرق وأصفى كلمات الفرنسية،
أن صدمة الكهرباء تفرز آثاراً، تتواتر أبداً،
أجد المعادل الدقيق للاغتصاب باستخدام الكلاب،
«بودارارا»، أهلتُ الإهانات، على القتلة،
في غمار البحث عن عبارة لا يخالجها الانفعال،
تصف، بدقة، ذاك الشعور
ـ عفوك، لطفاً، لما قد تجده من روي وإيقاعات ـ
يخالجك، ولصق ظهرك الجدار،
على شفتيّ النقيب، تتخايل مطالع كلمتي: أطلقوا النار!

أحاول تجريد العبارات من وقع الفجيعة،
أكدُّ لإيصال الجوهر والشعور،
دونما استسلام للتيار المظلم، المتخم
بما يقولونه حقاً:
في القاعة الأخرى، يعذبون ولدي،
برفاقنا آبوا، والوعي مرتحل،
دسّوا الفئران في جوف رفاقنا، ذلكم هو الحق الصراح.
قريب الشبه أنا بهم،
بتصخابهم، معاجمهم، هوامشهم
ثقافتهم، عودتهم إلى دورهم،
في جنيف، نيويورك، لاهاي،
وسيط ليس يرقى حتى إلى الامتداد جسراً،
ترجمة فورية طيب أجرها؛
فاختصاصيون نحن،
وما لا سبيل إلى تصديقه أنه، بالرغم منّا،
رغم نهر ترجماتي وتلاعباتي بالألفاظ،
يتم إيصال شيء ما،
جانب من صرخة كالعواء،
لطخة من دم،
حبات من دمع عصي،
أصغى بنو البشر لشيء ما،
وتحركوا.

شريط أحمر

أتبين جلية الأمر، أدقق المعلومات. أمضي إلى مخفر الشرطة، ثم إلى مقر قيادة الفوج. أستعين بمحامين. أوقع التماسات. أشرع في طرق الأبواب. أحادث الأقارب. أتصل هاتفياً بصديقات بعد العهد بهن. أجد قوماً من ذوي النفوذ. أقدم التماساً إلى المحكمة. أحادث السجناء ممن أفرج عنهم. أتسقط الشائعات. من جديد أقدم التماساً. استنسخ الصورة. أحاور مراسلاً أجنبياً ـ أرسل بالبريد خطاباً آخر. أستيقظ في جوف الليل، حينما تتوقف أمام الدار سيارة. أصغي للأنباء القائلة بأن خطيبتك تزف الآن. أعيد قراءة كراسة انشائك في مطالع الدراسة الثانوية. أتقدم بالتماس للمحكمة العليا. أحدق في الطريق.

لكي
أجترح
مواراة جثمانك،
ليكون لك مكان،
بوسع أمك
أن تمضي إليه، حاملة
الزهور،
(أثيرة لديك الاقحوانات،
لكنها بعيدة المطال)
في الآحاد،
وعيد
كل الأرواح.

أسنانها اللبنية تتساقط

من ذاك؟ من ذاك الرجل
بصحبة الخال روبرتو؟
آه يا حبيبتي، ذاك أبوك!
لم لا يأتي أبي
لرؤيتي قط؟
لأنه لا يملك لذلك اجتراحاً.
أمات أبي؟
ألهذا
لا يأتي للدار قط؟
لئن قلت لها إن أباها
يسري في عروقه نسغ الحياة،
إني، إذن، لكاذبة،
ولئن قلت لها إن أباها
عانق حتفه،
إني، إذن، لكاذبة،
لذا سأحدثها بالشيء الوحيد،
الذي استطيعه،
ولا يدخل في عداد الكذب:
أبوك لا يأتي للدار قط؛
لأنه لا يملك لذلك اجتراحاً.

أمل

إلى إدجاردو انريكيز الأكبر
إلى إدجاردو انريكيز الأصغر

مفقود
ولدي،
منذ الثامن من مايو،
من العام الماضي.

مضوا به،
لسويعات،
هكذا قالوا،
لمحض مساءلة
عابرة.
بعدما أقلعت السيارة،
السيارة العارية من لوحة الأرقام،
ما استطعنا
الوصول
إلى خبر
عنه.
لكنما الحال تبدل الآن،

سمعنا من رفيق
خرج إلى رحاب الحرية تواً،
أنه بعد خمسة أشهر من ذاك اليوم،
راحوا يعذبونه،
في دارة جريمالدي،
في نهاية سبتمبر،
راحوا يسائلونه،
في الدارة الحمراء،
العائدة لآل جريمالدي.
يقولون إنهم تعرفوا
صوته، صرخاته،
يقولون.
ألا فليخبرني أحد، صراحة:
أية أزمان تلك
أي عالم ذاك
أية بلاد هذه؟
مناط سؤالي هو:
كيف يمكن أن تكون
فرحة
أب
وأم
أن يعرفا
بأنهم
أنهم ما يزالون
عاكفين على تعذيب
ابنهما؟
مما يعني
أن الحياة ما تزال تسري نسغاً في عروقه،

بعد خمسة أشهر،
وأعظم
أمل
لنا أن نتبين،
في العام المقبل،
أنهم ما يزالون عاكفين على تعذيبه،
بعد ثمانية أشهر،
ولربما، لعله
ما تزال الحياة تسري نسغاً في عروقه!

فطيرة الذرة

لا ناقة لأمي،
في الأمر، ولا جمل،
مضوا بها؛
لأنها أمنا.
لم يكن لها علم بشيء،
أعني
أنها لا تدري شيئاً، مطلقاً.
أمعن النظر في الأمر!
على نحو يتجاوز الألم،
فكِّر في مدى ذهولها!
لم يقدر لها أن تدري قط
بأن هناك قوماً
على شاكلتهم
في هذه الدنيا.
غابت عامين ونصف العام، على وجه التقريب،

ولم تعد.
إلى المطبخ جاءوا،
وتركوا الغلاية تضج بالماء،
فوق الموقد،
عندما عاد أبي إلى الدار،
ألفى الغلاية

وقد تبدد ماؤها،
ينبعث منها البخار، فوق الموقد.
أما ميدعتها فما بقي منها أثر.
فكّر كيف أنها لا بد
حدقت فيهم،
على امتداد عامين ونصف العام،
كيف أنها لا بد...
فكّر في العصابة،
وهي تهوي،
على عينيها،
عامين ونصف العام،
وأولئك الرجال عينهم،
الذين ما كان ينبغي لهم أن يوجدوا في هذه الدنيا،
وهم يعودون إليها،
كرة أخرى.
أمي كانت.
وإني آمل ألا تعود أبداً.

عيناه على العصفور

غفرانك، اللهم، لرفعنا
هذا المُلْتَمَس،
لكن ما من رحاب لغيرك ضمًّنا.
العسكر لا يحيرون رداً،
والصحيفة تلقي بالنكات، وتتوشح صمتاً،
ومحكمة الاستئناف لا تلقي بالاً
لاستئناف الدفاع،
والمحكمة العليا ألزمتنا
بأن نكف، ونرعوي،
وما من مخفر شرطة
تواتيه الجرأة
لأن يتلقى
هذا الملتمس
من أسرته.
اللهم، يا موجوداً في كل الوجود،

أكنت حاضراً
في
دارة جريمالدي
أيضاً؟
يقولون ما من أحد يرحل
عن «الكولونيا ديجينداد».
أو قبو شارع لوندريس،
أو الطابق العلوي
بالكلية الحربية.
اللهم، لبِّ ندانا!
لمّا كنت هناك
أرأيت ولدنا
جيراردو؟ رباه، إنّا عمَّدناه،
في كنيستك،
جيراردو، الأكثر تصخاباً، الأشد عذوبة.
في بنينا الأربعة،
لئن غابت عنك ذكراه،
فإنا مرسلون لك صورة عجلى،
مما يلتقط في الحديقة،
ذات أحد،
وفي آخر مرة رأيناه،
بُعيد العشاء،
في تلك الليلة، عندما طرقوا
باب الدار،
كان سترة زرقاء يرتدي،
وسروال جينز كساه الشحوب.

اللهم، يا موجوداً في كل الوجود،
أترى وقعت
عليه عيناك؟

إثنان في اثنين

عدد الدرجات كلنا يعرفه،
أيها الرفيق، من الزنزانة
حتى تلك القاعة.

إنْ عشرين كانت،
فما هم بماضين بك إلى الحمّام.
إنْ خمساً وأربعين ألفيتها،
فما هم بمصطحبيك
للتريُّض.

لئن تجاوزت الثمانين،
وشرعت
في التعثر، معصوب العينين،
صعداً على درج،
آه، لو أنك تجاوزت الثمانين،
فليس ثمة إلا مكاناً واحداً
يمكنهم المضي بك إليه!
ليس ثمة إلا مكاناً واحداً،
ليس ثمة إلا مكاناً واحداً
الآن، لم يبق إلا مكاناً واحداً،
يمكنهم المضي بك إليه.

الوصية والشهادة الأخيرتان

عندما يحدثونك
بأني لست رهن الاعتقال،
فلا تصدقيهم!
سيتعين عليهم الاقرار بذلك،
ذات يوم.
حينما يخبرونك
بأنهم أطلقوا سراحي،
فلا تصدقيهم!
سيضطرون إلى الاعتراف
بأن تلك فرية،
يوماً ما.
لمّا يبلغونك
بأني الحزبَ خنتُ،
فلا تصدقيهم!
سيرغمون على الإقرار

بأني ظللت على قسم الولاء،
في يوم ما.
وقتما ينهون إليك
أني في فرنسا،
فلا تصدقيهم!
لا تصدقيهم، حينما يطلعونك
على بطاقة هويتي الزائفة،
لا تصدقيهم!
لا تصدقيهم، عندما يطلعونك على
صورة جثماني،
لا تصدقيهم!
لا تصدقيهم، لمّا يحدثونك
بأن القمر هو القمر،
لئن قالوا لك إن القمر هو القمر
إن هذا صوتي على شريط،
إن هذا توقيعي على اعتراف،
لئن قالوا إن شجرة ما هي شجرة،
فلا تصدقيهم!
وأياً كان ما يقولونه،
أياً كان ما يقسمون عليه،
كائناً ما كان ما يظهرونه لك،
فلا تصدقيهم!
وفي نهاية المطاف،
عندما
يهل
ذلك اليوم،

الذي يسألونك فيه
أن تتعرفي جثماني،
وترينني،
ويقول لك صوت:
قتلناه،
ذاك الوغد البائس لقي حتفه،
ميت هو،
عندما يبلغونك
بأنني،
تماماً، إطلاقاً، بلا رجعة،
ميت،
فلا تصدقيهم!
لا تصدقيهم!
لا تصدقيهم!



وفي التاسع عشر من كل سبتمبر،
(سرعان ما تتراكم سنوات أربع،
أيمكن أن تهوي كل هذه السنوات؟)
أسائلها، راغماً، من جديد،
عما إذا كانت هناك أنباء،
عما إذا تناهى إلى سمعهم شيء.
وسترد بأن لا، الشكر لك جزيله،
أقدر لك اهتمامك.
لكن عينيها ستواصلان،
دونما كلمات،
ما قالتاه أول مرة
(سرعان ما تنقضي على ذاك ثلاث سنوات،
كيف أمكن ذلك؟)
كلا، الشكر لك جزيله،
أقدر لك اهتمامك،
لكني لست أرملة،
ما عليك إلا الابتعاد،
لا تسلني شيئاً!
ما أنا بمقترنة بك،
فلست أرملة،
لست أرملة، بعد.


هوية

ماذا قلت ــ أوجدوا جثة أخرى؟
ــ ليس بمقدوري سماعك ــ هذا الصباح
جثة أخرى طافية
في النهر؟
إجهر بالقول! هكذا، لم تواتك الجرأة،
ما من أحد يمكنه تعرفه؟
قالت الشرطة إنه حتى أمه
أمه التي حملته،
حتى هي لا تملك لذلك اجتراحاً.
أو قالوا ذلك؟
حاولت الأخريات ــ ليس بمقدوري إدراك
ما تقوله،
قلبنه، وحدقن في محياه، يديه
نظرن إلى...
طيب...
إلتموا، مضوا ينتظرون،
ران الصمت عليهم، لفّهم الحداد،

عند ضفة النهر،
انتشلوه من الماء،
عار هو،
كيوم ولدته أمه،
ثمة نقيب من الشرطة،
وما هم براحلين إلا أن أصل؟
ما من أحد ينتمي إليه،
أتقول ما من أحد ينتمي إليه؟
قال لهم إني أسبغ عليَّ ردائي!
وإني في الطريق!
ولئن كان النقيب هو من حضر المرة الأخيرة،
فإنه يعلم
ما سيجري،
وان ذلك الجثمان سيخلع عليه إسمي،
اسم ولدي، زوجي
أبي،
قل لهم إني سأوقع الأوراق،
قل لهم إني في الطريق،
فلينتظروا مقدمي،
ولا تدع ذاك النقيب يمسه،
لا تدع ذاك النقيب يدنو خطوة
منه،
قل لهم على رسلهم؛
فبمقدوري دفن موتاي!

فاتتني الحافلة تواً

وسأبلغ العمل متأخراً

سيتعين عليّ التبول من عيني، لكي أبكي عليك،
يسيل لعابي، أتعرق، أتنهد من عيني،
سأضطر للتدفق شلالاً،
سينبغي عليّ الانسكاب نبيذاً!
سيتعين عليَّ أن ألقى حتفي، مثل كرم هرسه العاصرون،
من خلال عيني،
أسعل نسوراً، أبصق صمتاً أخضر،
ألقي عني جلداً أخضر،
لا يليق بالحيوانات،
لا يليق تذكار صيد،
سيتعين عليّ أن أبكي هذه الجروح،
هذه الحرب،
لألزم الحداد علينا.

سننصب المقاعد أولاً، ثم نضع البطانية
فوقها. الآن لدينا دار صغيرة، جميلة، تسعنا
وحدنا. الآن دعينا نتظاهر بأنني الأب، وأنك
الأم، ونتحدث على نحو ما كانا يفعلان، حينما يظنان
اننا نغط في نومنا. أتوافقين؟

لئن جاءوا للمضي بي ليلاً...

فإني سأتظاهر بأنني الأم، التي تعرف ما ينبغي القيام به.

أنتظر حتى الصباح،

وأمضي للقاء المحامي دون الفونسو.

ولئن أقبلوا نهاراً...

إذن، فسوف أخطر ليوناردو،

عن طريق الحزب

تيقني أنهم لا يقتفون أثرك فحسب!

لسوف أتيقن أنهم لايقتفون أثري فحسب.

وإن مضوا بك أيضاً؟

لن يحدث هذا أبداً.

ولكن ماذا لو أنهم قرروا المضي بك أيضاً؟

إذن، سأتظاهر بأنني الأم،

التي تقول إن الابن الأكبر،
خوان،
سيعرف ما ينبغي القيام به.
يتحدثون عنّا الآن.
يتحدثون عنّا؟
عنك، عني، وعن خوان.
ألا تتذكرين؟
لكني، دائماً
أغفو.
ماذا إن مضوا بالأطفال؟
ذلك ما ينبغي أن تسأليه،
إن كنت الأم.
ذلك ما ينبغي أن أسأله؟
ماذا إن مضوا بالأطفال؟
ذلك ما ينبغي أن أسأله. صحيح؟
إذن سأتظاهر بأني الأب،
وأشرع في الصراخ، قائلاً:
لا تلقي بأسئلة بلهاء!
فحتى هم لن يقترفوا ذلك.
لو أني الأم
فما عساي أن أقول إذن؟
ما عساي أقول إذن؟
لا تقولي شيئاً،
إلزمي الصمت فحسب،
مثلما أنت الآن تماماً!

الرفاق الآخرون بالزنزانة
يغطون في نومهم

تمضي إلى غرفة النوم الوحيدة،
في الدار،
ولا تضيء المصباح؛
حتى لا توقظ الأطفال،
تنزع ملابسك. في الظلمة،
تدس يدك، تحت الغطاء،
تتلمس الرقاد الدافئ
لأصغر الأطفال،
الابنة التي لا تعرفها،
الابنة التي ولدت لاحقاً،
تقف هنالك، عارياً،
لا تدلف إلى الفراش،
عيناك مفتوحتان،
توشكان على مساس أنفاس
أطفالنا.
في الغد، يتوجب عليك المضي إلى السجن،
وسيقولون لك: لا.

في الغد، يتعين عليك البحث عن عمل،
في الغد، تضطر إلى طلب قرض،
ودائماً لا، اللا عينها،
عُدْ غداً!
ولكن صمتاً، دعنا لا ننخرط في البكاء!
لا تخف!
بمقدورك...
فهم جميعاً يغطون في نومهم —
الظلمة مترعة
بالأطفال.

لست أدري له مقراً. إتفقنا على الانفصال؛ لأن مسيرتنا معاً توقفت. الأطفال في حضانتي، وكل حين يرسل إليّ خطاباً. لا عنوان للرد عليه. هذا كل ما يمكنني قوله لكم.

بالنسبة لي،
عليّ أن أغفو،
على ذكراك،
لعلي أعرف لك طريقاً،
وأحياناً،
إن واتاني الحظ،
تقبل،
لاحقاً،
فيما يشكل عامة
أحلامي.
أما عن المخابرات، فبمقدورك التيقن
من أنهم لا يبحثون عني بالأحلام،
ولئن عثروا عليّ،
ذات ليلة يفارقها اليقين،

حشرجة المكابح،
ضجيج الرجال يثبون من
السيارات المنطلقة،
ووقع أقدام تدنو
سيوقظني،
لن تحيط بذاك علماً،
لن تكون حاضراً،
لتحميني،
لتبحث عني،
سيقولون لك إنهم
ما اعتقلوني،
في أعقابها

دليل واهٍ

لئن لقي حتفه،
لعرفت، •
لا تسلني كيف!
لكني سأعرف.
ليس لديَّ دليل،
لا مؤشر، لا رد،
لا شيء يقيم البرهان،
أو ينقضه.

هنالك تمتد السماء،
الزرقة عينها،
التي ترامت دوماً،

لكن ذلك ليس دليلاً.
تتواصل الفظائع،
والسماء مثلما كانت دوماً.

هنالك الأطفال،
فرغوا من لهوهم
الآن سيشرعون في الشرب،
مثلما قطيع من الجياد
البرية،
سيغطون الليلة في نومهم،
ما ان تمس
رؤوسهم الوسادة.
لكن منذا الذي سيتقبل ذلك
دليلاً على أن أباهم
لم يلق حتفه؟
يمضي الجنون،
والأطفال على طفولتهم دوماً.
طيب، هنالك عصفور،
مما يكف
في قلب تحليقه،
فما يعود إلا جُنحين، في الهواء،
بلا بدن يكاد يكون،
يهل كل يوم،
في الوقت عينه،
في رحاب الزهرة ذاتها،
تماماً كعهده.
لا يبرهن ذلك على شيء أيضاً.
كل شيء على حاله، كيوم مضوا به،
إلى البعيد،
كأنما لم يقع شيء،

وكنا ننتظر
أن يعود إلى الدار من العمل،
لا إيماءة، لا رد،
لا شيء يقيم البرهان،
أو ينقضه.

ولكن لئن لقي حتفه،
لعرفت.
الأمر بهذه البساطة،
لا تسلني كيف!
لئن لقيت حتفك،
لعرفت.

أعراس

حينما أفتح عينيّ، كل صباح،
تلقين حتفك من جديد،
تموتين كرة أخرى،
وفي أحلامي، لتوهم،
قتلوك،
لست أجدك ثانية على قيد الحياة،
أتفهمين؟
ليس ثمة شيء في الكون أملك اجتراحه
لمنعهم، في أحلامي.
أرتدي حلة زفافي، أيام الآحاد،
أمضي للقاء أبيك،
نفتح دفتر الصور،
يمضي النبيذ والبسكويت وعبارات المجاملة جيئة
وذهاباً،

ونعلم معاً أن ستعودين يوماً،
لكن المحيا الذي يقتلونه، عندما أفتح عينيّ،
والوجه الذي يتشظّى، كل ليلة،
لا وجود له قط في هاتيك الصور، أتفهمين؟
التي يبقيها أبوك على حالها.
أيتعين عليّ فقدانك حتى في أحلامي؟
دعي لي الليل، على الأقل؛
لأحلم بك، والحياة ملء نبضك، إلى جواري تحت جنح الظلام
محياك ساج، دافئ، مثلما صدى
أتلمس، موغلاً في دفتر الصور،
الليل، لأعجم عود الذكريات والأبدان،
الأم، الجدة، شهر العسل،
الذكريات، الأبدان، الصور، والليالي،
التي لن يقدر لك قط، أتفهمين؟
تملك ناصيتها،
ثم
أفتح عينيّ،
عينيّ، عند الفجر
وما يصنعونه بك في أحلامي،
صنعوه بالفعل،
أتوه فعلاً،
لمرة أخيرة.

أبدأ في الحياة... أشرع في التنفس،
لاثنين، لثلاثة، لستة، لكل
أطفالنا الذين لن تحبلي بهم أبداً.
في أحلامي، وعند السحر،

في ذلك المكان الآخر،
تصرخين و
تصرخين،
وليس ثمة شيء في الكون،
أتدركين ؟
أملك اجتراحه
لجعلك
تكفين.

أحياناً تتراءى لي السيارة الستروين.
بدّلو لوحة الأرقام. وأعادوا طلاءها.
لكني أغادر المحكمة. وأراها هنالك.
مع الرجال أنفسهم، والمحرك يهدر

كدنا ندهسه،

إنطلق

الكلب، عدواً، إلى الطريق،

فجأة،

يوم الأحد ذاك،

فيما غناؤنا يعلو،

غناؤنا نحن الخمسة في الطريق إلى «ميلابيلا»

لأن اليوم أحد،

إنطلقنا في رحلة خلوية،

وتألقت الشمس في أوج بهائها.

تبدى

الكلب، كأنه صرخة مترعة بالحياة،

لطمة في الزور،

لون طيني شاحب، ربما، لون القهوة، لست أذكر.
إنطلق أمامنا،
كأنما يتخطفه الشيطان.
أو كأنما ابتلعنا
عظمة صلدة،
أزيز الدواليب،
حذار الكلب!
حذار!
وارتطمنا
بشجرة،
قبل الوقوف.
ترجلتَ، تأملتَ السيارة.
وابتسمتَ
هلموا، أنظروا جميعاً!
قلتَ: يا للكلب المحظوظ!
ما مسسناه،
وابتسمتَ
وابتسمتَ،
حتى كف الأطفال
عن البكاء.
قلتُ هاربة من الصمت، هو ذا الحاجز تحطم.
انبعاج، كأنه عين معدنية،
إلتوى، مثلما شفاه شهباء،
من أين أهلّت هاتيك الكلمات
ذاك اليوم المشرق البديع؟
هززتَ رأسك، مثلما ضرغم ودود.
الحاجز؟ يسيرٌ إصلاحه.
وحادثتهم، رافعاً يديك،

مثلما واعظ عتيق يعتلي قمة جبل،
أيها الأطفال، الأمر الوحيد في الدنيا العصي على الإصلاح
انتزاع حياة شيء ما، بمعجزة،
يتنفس
ثم
ابتسمت.
لكن ربما لأنه أحزننا أن نرى
الجرح البارد، الفاغر،
في لحاء الشجرة القاتم،
لم نردد تلك الأغنية باقي
الرحلة،
أبداً لم يتح لنا الوقت
لإصلاح الحاجز
فخلال يومين أهلّ الثلاثاء،
أقبلوا ليمضوا بك،
فيما هم يغادرون الدار،
لمحوا السيارة في الطريق،
سنأخذ الستروين أيضاً،
هكذا قالوا،
لمجرد أن ترافقه في رحلة.
في طريق العودة،
لا بد كانت الساعة العاشرة، والأطفال نيام.

أوقفت السيارة، حريصاً في ذاك الموضع قرب «ميلابيلا»،
لم نتبين شيئاً، لكنه كان الموضع ذاته.
لم نر شيئاً، كأنما أحدهم
حجب النظر عن
أعيننا،
بغمامة سوداء،

لكنك فتحت الباب،
وأصغينا إلى نقيق الضفادع،
في بركة قريبة،
ورأيت هلالاً،
يكبر،
بين النجوم،
وسماء ريّانة،
نقبت بمشعل نقال بين الشجيرات
والأشجار،
جثمت بين الأحجار على الطريق،
انطلقت الشاحنات عابرة،
كأنها صيحة أضواء صارخة،
وجعلت الستروين تهتز،
بينما كل ما استطعت رؤيته منك
كان وميض المصباح،
شأن نافذة نائية في قطار يمضي،
جيئة وذهاباً،
عبر الليل،

عندما دلفتَ إلى السيارة،
تنهدتَ في ارتياح.
فلم تصدم ذاك الكلب،
كان ذلك مثار قلقي،
ولكن ما من أثر هناك، ولا للطخة
قلتَ: يا للنغل المحظوظ
ما مسسناه.
على امتداد الطريق إلى الدار،
رحتَ تصفر اللحن وئيداً،
وئيداً، حتى لا يسمعك الصغار،

مواكباً، في رقة، أحلامهم من

بعد مترع

رحت تصفر لحن الأغنية،

التي قوطعت،

فجأة،

كصرخة مترعة بالحياة.

في صبيحة يوم الأحد ذاك،

المشرق، البديع،

وكان وجهك في الظل،

لكني عرفتُ أنك تبتسم،

في الظلام الموغل.

عبء العيش

إلى اليزابيث ليتليه

والآن يريدون قتله رسمياً،
جعلي أدشّن حياة الأرملة،
أكف عن مواصلة البحث في الطرق،
وعرض صورته، فيما يقولون، لكل عابر سبيل.
كأنما لقي حتفه في حرب نائية،
يقترحون أن أطلب معاشاً،
أبتاع دفاتر مدرسية لصغاري.
ذلك ما يبغونه:
أنحّي صورته، في هدوء،
إلى جوار صورة أبويّ،
أمضي لابتياع الحليب
كل صباح،
بنقود المعاش.
لكنهم، فيما يبدو، لا يدركون
أني أود تنحية صورته في هدوء،
حقاً،

هذا ما أوده،
وهذا ما سأقوم به،
وليس مرد الأمر أن بالدار فيضاً
من الدفاتر المدرسية،
أو أن بها طعاماً للوجبة التالية،
لكن هناك شيئاً آخر،
شيئاً آخر قبل تنحية.
الصورة،
وإني لأتساءل إن كان بمقدورهم فهمه،
ليس بالأمر الخارق للمألوف،
وإنما هو أمر مألوف تماماً،
كل ما أريده رؤية وجه الرجل،
وجه الرجل الذي قتله.
ليس من أجل الثأر، فلست حانقة،
كل ما أريده رؤية وجه ذلك الرجل،
أو وجه الرجل،
الذي ابتاع الطلقات،
التي قتلته.
ذاك أمر بسيط، في نهاية المطاف،
وحتى الطفل يمكنه فهمه.
تلك الدفاتر
ألا فليتبدد الشك بشأنها،
لسوف أبتاعها،
ذلك ما أريد قوله
للرجل الذي قتله،
انه لن يبتاع الحليب لصغاري،
لن يبتاع الحليب
لصغاري،

ذلك ما أريد قوله،
وإفهامه إياه،
أريده أن يدرك الأمر،
بينما أحدق في وجهه،
فيما أواصل التمعن، بهدوء،
في وجه الرجل الذي قتله.

رسائل

«إلى كل من انتخبوا سلفادور الليندي، في آخر انتخابات رئاسية حرة في تشيلي في 4 سبتمبر 1970»

لأيام طويلة،
بعدما،
بعدما جاءوا للمضي بك،
واصلت الرسائل المجيء،
لأسابيع،
لشهور،
رسائل احتفظتُ بها،
من أناس عرفوك ذات يوم.
ثم اكتشف الناس الأمر،
دائماً يكتشفون؛
فكفت الرسائل عن القدوم،
وانحسرت الزيارات،
حتى غدت قطرة تنداح،
غبَّ المطر،
فكرتُ في إعادتها،
دونما فضها، بغير قراءتها،
مع حاشية:

تأسف ابنتي كارولينا
لعجزها عن الرد.
هكذا تقال هذه الأمور،
على هذا النحو تعلمتُ قولها.
لكنها التصقت
بكفي،
لست أبغي إرسالها؛
فأصدقاؤك بداخلها،
الأصدقاء الذين ما صحبتهم للدار،
أولئك الذين كانوا أصدقاءك،
لو أني كنت أعرف فقط ما يحدثونك به،
ما يقولونه، وما قالوه،
أولئك الناس،
الذين ما عرفتهم أبداً،
والذين يختلفون عني،
لكن المرء لا يفض بريد الآخرين.
تلك هي القاعدة الرئيسية
لذوي التربية القويمة،
غير أن هناك شخصاً يواصل الكتابة.
كل عام، تهل بطاقة،
مؤرخة في الرابع من سبتمبر،
وبأسفلها توقيع عصي المعالم.
سأذكر على الدوام،
تقول البطاقة،
ذاك الرابع من سبتمبر،
حتى الممات،
ثم يطل التوقيع عصي المعالم.
ترى ممن هي؛

ذلك أنه قبيل النهاية،
ما كنا لنتحدث كثيراً،
أردتِ الرحيل عن الدار،
لأسباب سياسية، لمبررات أخرى،
وصفتني بأني من طراز عتيق،
قلتِ إني لا أفهمك،
كنتِ تفضين لي بكل شيء، وتأتين لي حاملة
متاعبك بأسرها،
وشيئاً فشيئاً عكفت على ذاتك،
وسمعت المفتاح
يدور في باب غرفتك،
ولم نعد نتبادل الحديث،
لربما أنتمي إلى طراز عتيق،
لكني علمت أن الأمر لن يفضي إلى خير،
لن يفضي إلى خير،
قلت لك ذلك، لكنك،
لكنك
ما كنت لتصغين،
هكذا، فكل ما أعرفه،
عن ذلك الشاب،
أنه، بعد كل ذلك الوقت،
لا يزال يبعث إليك
بكلمات الحب ذاتها،
كل عام.
هوّني عليك!
لئن قُدِّر له يوماً أن يزورك،
لئن جاء للقياك ذات يوم،
فهوّني عليك!

لسوف أعرف ما ينبغي عليّ القيام به.
عندما أفتح الباب،
عنك سيسأل،
أود لو اصطحبته إلى غرفتك،
ليرى الفراش ذا الأغطية،
السخية البياض، الناصعة، التي عانقتها المكواة،
فكل أسبوع نغيرها،
أود أن يرى الدمى والمرآة،
والرسائل على المنضدة المجاورة للفراش،
لكنما ذلك لا يليق،
فتلك أولى مرات مجيئه لرؤياك،
خير لنا أن نمضي إلى غرفة المعيشة،
أقدم له بعض الشاي،
ثم أجلب رسائله وبطاقاته كذلك.
هوّني عليك!
سألزم الحذر، أشد الحذر،
لن أسائله عن اسمه،
عمله،
عنك سنتحدث،
إن رغب في هذا فحسب،
وفي هدوء،
كأنما تقومين برحلة، وتوشكين على الإياب.
من طراز عتيق أنا، ذاك هو الحق،
ولربما لم يقدر لي فهمك،
لكن بوسعك التيقن من هذا:
مع صديق على مثل هذا الولاء،
سأعرف كيف أتصرف.
قبل أن يرحل،

سأسمح لنفسي بسؤاله جميلاً واحداً،
سأطلب منه أن يواصل الكتابة،
آمل ألا تغضبي،
أرجو أن يحالفني الصواب،
أن يواصل،
كل عام،
كتابة البطاقات ذاتها،
كتابة البطاقات ذاتها،
كذي قبل،
سأواصل وضعها،
منسقة،
في حزمة صغيرة،
على المنضدة المجاورة للفراش،
أعلم أن تلك ليست الطريقة التي يصرِّف بها المرء الأمور،
أعلم أن ذاك مما يجافي التربية القويمة،
لكنك لا تعلمين كم أود
أن أفكر في أن سيأتي يوم
نقرأ فيه
بطاقات الرابع من سبتمبر
معاً
سوياً، ونتحدث،
غير بعيد عن المنضدة المجاورة للفراش.


سلاسل

لمحتهم في الخارج، داخل سيارة،
أربعتهم، في تلك السيارة الزرقاء، على قارعة الطريق،
يدخنون و
يتبادلون النكات،
طوال الليل.
ثم يدوّي رنين الهاتف،
وهم دائماً وراء الرنين.
طوال الليل،
أحدق فيهم، من وراء الستائر،
والأنوار مطفأة، كي لا تعلم أمي بالأمر،
ظهرت السيارة، أول مرة،
خلال الإضراب عن الطعام،
ليست السيارة ذاتها التي أقبلت
للمضي بأختي.
جثموا بها أمام الدار،
وتتابع أربعتهم،
في نوبات عمل،

طوال أسابيع ثلاثة.
الآن تطل
السيارة
في كل مرة تجترح أمي أمراً.
سأراهم الليلة، من جديد،
مرة أخرى أربعتهم يدخنون،
ويدوي رنين الهاتف.
إبتاعت أمي سلسلة،
مع أربعين امرأة أخرى،
ومن جديد، مرة ثانية، قيدن أنفسهن
معاً.
أتذكر ذلك القاضي
القاضي الذي رفض النظر
في قضية أختي؟
أوضحت أمي الأمر له، برهنت على كل ما اضطرت
لإثباته
رأيت ابنتي يا سيدي، رأيتها بأم عينيّ.

ما الذي سيتعين عليها القيام بإيضاحه غير ذلك للقاضي؟
ثدياي، يمجّان ألماً، أماه!
كان ذلك كل ما لفظته أختي،
وانصرفي، انصرفي،
قبل أن يقتلوك!
قال القاضي إنها تفتري كذباً،
إن كلمة ضابط،
في الجيش التشيلي،
تعدل ما يفوق كثيراً
ألفاً من كلماتها.
أختي الجميلة ثدياها

يمجّان ألماً، في ذاك اليوم،
حينما عثرت أمي عليها،
في ذلك المستشفى الرجيم.
لدار ذاك القاضي
قضبان صلدة، تلف النوافذ،
في الدقائق القلائل التي يستغرقها
مقدم الشرطة،
سيتاح له الوقت لتعرف النسوة الأربعين،
تعرفهن واحدة إثر أخرى،
الوقت كي يدرك،
قبل إسدال الستائر،
الأمور التي ستجترحها أمي
لتجد الإبنة التي اعتقلوها
العام، الشهر، اليوم
عندما تجثم سيارة زرقاء،
أمام باب دارها،
سيارة تقل أربعة رجال،
والهاتف لا يدوّي له رنين
في الثالثة فجراً،
ثم يطفئ القاضي الأنوار،
يسائل نفسه عن السر في أنه ما من أحد يهرع لنجدته،
يواصل التحديق،
الإمعان،
التأمل،
من وراء كل ستار،
في سلسلة الأمهات بالطريق.

الحجر الشمسي

يوقفون السجين،
لصق الجدار.
يشد جندي وثاقه،
تمسه أصابعه، قوية، رقيقة، مودّعة،
ـ غفرانك، أيها الرفيق،
يتناهى الصوت همساً.
صدى صوته،
وملمس
تلك الأصابع على ذراعه،
يترعان بدنه بالنور،
أقول إن بدنه ليترع نوراً،
فيوشك ألا يسمع
دوي الرصاص.

الجزء الثاني

قصائد ما كنت لأطلع أحداً عليها

مُفْتَتَح :

مظلة

بالنسبة له،
الإنهيار رفاهية، بعيدة المطال.
على أحلامه يوصد الأبواب،
وفي جرأة يبتسم،
وجذوره
تحترق وسط الحطام،
وفي جرأة يبتسم،
لآلات التصوير، الآخذة في الدنو،
وكل مغامرة صورة ملونة،
تتكشف عن الأسود والأبيض.
(بالنسبة لي،
الإنهيار رفاهية، بعيدة المطال.
عليَّ المضي قدماً
في اجتراح ما قمت به دوماً.
ولئن دوّمت بلا انتهاء حول البئر الأعمق،

لئن تظاهرت بالوثوب إلى رحاب النار،
لئن اختبرت هذه الأقدام دوار الطين،
لئن زمجرت النجوم السوداء في هوائي،
فهوّن عليك!
هو ذا طوق نجاتي الأثير،
مرساتي السرية، بوصلة
موشومة،
والماء، الماء المخفي في سنامي،
أثب إلى الشمس، والظلمة تتخلل أصابعي،
بظلمة يقينية، في مواجهة الشمس،
هكذا أقفز،
ولمواجهة الوباء،
الذي يتفاقم، ويعوي في الطريق.
لديَّ مراهم وتعاويذ، أما تراها؟
ضمانات أطلب:
ألا يدهمني شيء)
إنه لا يركب مخاطرة. أما قلت لك؟
فرفاهيةُ الخروج إلى رحاب الصمت
والمخاطرة بالتعرض للنظرة الجوفاء
المرتسمة في عينيّ الأصم ـ الأخرس
ـ الأصم الأخرس المسكين ـ
الذي ترك طوق نجاته في الدار،
ولا يرغب في اكتشاف
ما إذا كان تحت هذا الماء اللامتناهي
قرار أم مزيد من الماء.
خذ الحذر!
بين الرايات والأقدام، التي ترقى ضفاف الأنهار،
خذ الحذر من أرض ذاتك السبخة، الفجائية،

أوصد البالوعة الداخلية، التي تجعل الدوار يعتريك!
فهناك رمال متحركة تحت جذور
خير الأشجار وأغناها بالبراعم.
أنظر: فيما الصبح يتنفس،
ربما كانت الشمس
تغرب، في نهاية المطاف،
بالنسبة لك.

شحاذ

على أي نحو تود أن أقولها؟
أنقذوني، كما يشير «ليتل ريد رايدنج هود»
تشير ذات الرداء الأحمر
النجدة، على نحو ما يعبِّر «البيتلز»
طوارئ، كما يقول الفرنسيون؟
بصدري فؤاد عتيق، تيّاه،
وما أنا بالذي يطلب شيئاً.
ها هنا سأظل، مثلما الشحاذ،
الذي كان ملكاً متوَّجاً على قصر
الربيع،
وآمل أن يلحظ أحد يوماً،
قبل فوات الأوان،
أنني أحتضر ممدود اليد،
ميتاً يعوي على نحو خفي،
وممدودة يدي المحجَّبة.
أما الوحيد الذي استطاع رؤيتي،

رؤية أصابعي الملتفة بالظلمة بأم عينيه،
فهو شخص يقظ، بعيد،
في ضرب آخر من المعتقلات،
يتقاسم طرف الدثار،
في كوخ يعج بواحد وعشرين رجلاً آخرين،
وحارس لا يدعه
يخرج؛ ليتنسم الليل،
ليملأ جوانحه بصفاء ليل تشيلي الصيفي،
ليل تشيلي الصيفي، العاطر، البليل،
كأنما الباب الموصد من الخارج
ليس كافياً،
والسور الشائك فيما وراء ذلك،
ودوريات الطرق بعد ذلك،
والأسوار داخل كل رؤوسهم إثر ذلك،
والحدود التي تحرسها الكلاب، عقب ذلك،
كان بمقدوره أن يدرك ما يعتمل بداخلي.
ما يحدث لنا موغل في واقعيته.



ما من ريح تهب لتنقل لقاح الأزهار

يوماً ما، سيحملني الدم في اللقاح إلى آفاق النعاس،
ستحملني مقاطع حديث الدم في اللقاح وئيدة إلى آفاق النعاس.
سيأتي الرفاق، سيقولون: وهذا،
ما الذي دهاه، كان شديد البأس.
الأمر بسيط ورهيب، وكذلك الحال بالنسبة لي:
كنت وحيداً، مثلما بحيرة تروي حقلاً،
بحيرة تمنح الماء، وتتنفس نجوماً،
لا ينداح نهر إليها،
ولا يسبح أطفال
فيها.
ماذا دهاه، ترى ما الذي دهاه؟
كنت أتحول إلى مجموعة أشخاص مع النمو الهائل للأذرع،
مع التقاطع الجم للأذرع بحثاً عن أياد أخرى،
مع العديد من المطالب المستحيلة، كل ما يطلبونه مني
أرضيتهم جميعاً.

كانت المؤشرات هنالك، لا تقل إني في غمار لعثماتي،
في برقياتي السرية، الجلية،
لم أوضح كل شيء.
ما استطاع أحدكم فك طلاسمها،
الآن أواصل الحياة، مثل أمل أرض
دفنت
في الجليد،
في غابة تتجمد الشمس بها ملتفة بصفرتها.
ذات يوم، سأموت وئيداً،
سأموت جرّاء الدم في اللقاح.

القديس جورج

أبدِّد المال على المرايا، مثلما يستقل البعض القطارات،
بالحماس الذي يستشعره البعض، عندما يقضمون
تفاحة،
ليجتلي الآخرون وجوههم الوضيئة،
ليختلس أصدقائي البرق،
من كبد السماء،
ويبقوه لليال يسودها الصمت،،
ما من شيء فيها إلا ساعات مهشمة العقارب،
لا تدق، ولا تومض في الظلمة،
ليال كهذه الليلة، أغدو فيها شجرة هالكة في فراش ميت.

أين مني هاتيك المرايا؟
أين مضت، لِمَ لا تعود؟
أين أنا وما لي لا أقبل لإنقاذ نفسي؟
أقتل الهولات
أم ترى سيتعين عليَّ مواجهتها،
بعينين مسحوقتين، ورئتين ممزقتين،
بالذكرى الملتبسة لما يتعين اجتراحه وما سأتيه،
لأمضي بذاتي، شأن نسيج عنكبوت
في بستان الموت المترامي بلا انتهاء؟

أقوى من المصابيح

مستعصياً على التفسير، في جوف الليل،
يغرد عصفور،
يغرد، يشدو مجدداً
عندما أصغي إليه فحسب،
أستيقظ حينها فقط،
الآن، والجميع
نيام،
أستيقظ، وحيداً أبقى،
غاب أصدقائي،
وزواجي تحفّه الأعاصير،
الآن، عندما أحاول تبيّن
إذا كان ما قمنا به
طيباً أو سيئاً،
ومع كل دورة من المزلقة،
يعاودني السؤال، وليداً،

كأنه وريقة تهوي من شجرة، على حالها، وإن أوغلت في العمر،
عندما أصرُ، ومجدداً أشدّدُ
على انه ما من أحد يستطيع سماعي،
يواصل العصفور الغناء،
الآن، كأنما لا أحد
يسمعه بدوره.
ربما ظن مصباحي
مطالع الفجر.
يغرد، ناشداً الصحبة،
ربما كان سعيداً، ذاك اليوم،
وعاد مبكراً، دونما توقع
أكثر حكمة مني،
بمخه، الذي يصغر مخي مائة مرة،
يفوقني حكمة.
وليس بمقدوري رؤية نور آخر،
غير تغريده في الليل،
شدوه لي،
لأنه يحسبني الشمس.
والآن، ينهض ولدي،
ليقضي حاجته،
حقاً، الليل مترع بالأسماء.
لو لم أكن محنّكاً،
آه، لو كان بمقدوري الشدو فحسب،
متيقناً من أنه في قلب هذا الليل،
الشمس
الشمس تشرق،
في مكان ليس بالبعيد.

استدعاء

أحياناً أستيقظ في ... عندما
فيما لست أدري ما تسميه أستيقظ، في ربما
يحزنني ذلك، يبعدني
عن ذاتي،
أحياناً أستيقظ في غيابي،
فما أملك له اجتناباً،
في لا مكان أنا،
أستيقظ في حقل متقد من جليد،
يحيا، يطفو، يتنفس،
لكن ذاك فحسب، ذاك
وحده.
تواتيني ذكرى أيام كنا نسهر الليل كله،
نتأهب للقيام برحلة،
لكن الآن ما من حقائب ولا ثياب،

وهذه المرة لا نرحل في السَحَر،
أظل ها هنا أقول وداعاً لذاتي،
لا بطاقة سفر، ولا قطار،

أختفي، ولا أجد ذاتي،
ما من ضوء يتألق في النافذة ليلاً.
لا وكر،
ليس بوسعي تعرّف ذاتي،
في تلك المرآة التي لا وجود لها.
لكن أحدهم، في البعيد،
يطالب بوجودي.

دانياً ربما
أحدهم مدّ يد المساعدة،
راح يبحث عني في الثكنة بأسرها،
لا يتقبلون موتي،
انتفاضة تضامن هائلة وحدها
يمكنها جعلي موجوداً، يمكن أن تعيدني.
إلى رحاب العالم،

تغرس الأشجار في أعماقي، تسلحني بشيء ما إلى جوار الصبر،
تجتذبني من الماء البارد، الذي أطفو فيه،
تطالب بوجودي ثانية،
تبتكر لي أمساً، تخرجني من القبو،
وتجد ظلي في الطريق،
لا بد أن هناك شيئاً يدعى بالحب،
الكوني، الجاذبي،
قانون التجاذب الإنساني،
قوة الآخرين جميعاً تعمل دانية،
أياد خفية تصوغك في الظلمة،

أحدهم يلقى حتفه من أجلك،
يولد من أجلي قليلاً كل مرة،
مثل شمس تعشق كوكبها،
شيء ما يجعلني،
أشرع من جديد في هذه الرحلة،
التي قوطعت،
لا حقائب، لا ملابس
ما يزال التيقن من الأمر متعذراً بالنسبة لي.

الجزء الثالث
في مواجهة التيار

مُفْتَتَح :

لا بد أن هذه الضجة الصاكة
تتناهى من عربة القمامة

تهشم القدح اليوم،
ترى كيف تعثرتُ على هذا النحو!
شفّني الحزن لانكساره؛
فهو القدح الذي ابتعناه، إثر
رحيلنا عن الوطن،
القدح الذي به شغفنا،
بوسعك القول إنه كان صديقاً لنا،
على وجه التقريب.
متألق الحمرة، ترقّطه نقاط بيض،
لتناول القهوة على عجل،
في الأسحار،
هاتيك الأسحار الأولى عند البدء.
لكي أزيل كل الشظايا،
الجزئيات كافة، التي يمكنها أن تفجأنا، فيما بعد،
في حسائنا، تحت أقدامنا، جفوننا،

التقطت كل النثارات الصغيرة،
مقعية على الأرض،
أولاً، ثم جاثية على أربع،
بالعناية اللامتناهية، التي يبديها طفل حلّ بساحته العقاب،
يعكف على مهمة بغيضة مجدداً،
في هدوء، في سكينة،
على مهل.
ظل القدح عندنا،
سنوات أربع أو تزيد،
اليوم هشمته،
وبدأ منفاي.

جيش احتلال

في ذلك المنعطف، بسنتياجو،
ــ أورفانوس وأهومادا ــ
يذوي المدى، ويتداعى.

في كل مرة تمر،
ــ مثلما اسطوانة مشروخة،
يحاول أحدهم إدارتها،
لمرة أخيرة فحسب ــ
يثب ما عشناه هناك،
ليترع قلبك بالجراح،
كل ما اضطررت إلى نسيانه،
يوماً إثر يوم.

تعاودني تلك الذكرى أيضاً،
فجائية، وئيدة،
أجدني صدى اسطوانة،
تتداعى، ولا تدار إلا
بنعومة بالغة الرهافة،
عندما يمر قطار.
في سنتياجو، تجتاز ذلك المنعطف.
لكني لا أملك لذلك اجتراحاً.

القالس الأخير في سنتياجو

كل ما رقصته ينتزعونه منك،
يسلبونه فحسب،
هكذا، بهذه البساطة.
يقتلون الراقصة في أعماقك،
يسحقونها وئيداً،
عليهم أن يذهبوا بدداً، جُفاء،
قبل أن تستطيع
اجتراح هذه الرقصة
معك.
يحطمون رومباك، والتانجو،
يهشمونك،
يغرقون مهرجانك في البول،
يغرسون الإبر في جلد اسطوانتك،
يستخدمون الترومبيت سكيناً،
ويهشمون كمانك،
هكذا، بهذه البساطة

يودعونك وراء أسوار،
عارية من الأرقام،
وسط المرايا والأغاني المتشحة بالرماد،
يسجنون يديك، قدميك، ترقوتك.
ويقولون لك: الآن فلترقصي أيتها العرجاء!
الآن، ارقصي يا ابنة القحبة!
يحكمون عليك بايداعك القبر حية، يكشطون جلدك بالرمال.

دعينا نرقص، إذن،
يا عزيزتي؛
لأنهم ينتزعون كل ما رقصناه،
الآن تواً، أُصغي إلى وقع الأقدام الدانية،
أحدهم يجرِّب حذاء عسكرياً، لماعاً،
الآن تواً،
الآن تواً.

نقد ذاتي

ألا فلنقل الحقيقة باترة:
ما تعرفناهم،
لكنهم كانوا هنالك،
وراء شواربهم العسكرية،
غارقين في أوسمتهم،
كانوا هنالك عيناً بعين،
وسناً بسن،
وما عرفنا أننا نقدم العيون،
وأنهم استخدموا مخارز حادة،
ما علمنا أن الأسنان المنزوعة كانت لنا،
وأن الزرديات لهم،
لنقل إن الصواب جافانا: فما
استطعنا قراءة أفكارهم،
ما ملكنا رؤية الوريد قرب الزناد،
عجزنا عن سماع الوجيب المتدارك لأفئدتهم،
ما تمكّنا من مراقبتهم، وهم ينتهكون زوجاتهم،

أو يأمرون المراسلة بجلب القهوة.
ما رأينا ذلك الرجل عندما اجتث الشجرة،
حينما استمنى في المسبح،
لما انحرف بالسيارة، ليدهس
كرة يلهو بها طفل.
أم أنَّا رأيناه، نراه، عرفنا،
وما رغبنا في الرؤية أو المعرفة؟
كل ما أتيناه هو تأجيل مقدمه،
تركه في المتاهة،
ذاهبين إلى أنه لن يلوذ بالهرب،
أن شخصيته الحقيقية
قبعت هنالك للأبد،
ضائعة، وسط كلماتنا،
والأكاذيب، وحبات الفول السوداني،
التي ألقيناها له.
ذات يوم لاح ظله،
حسبنا أن الأمر من تلاعبات البصر،
ثم تبدى البدن:
كان هو بعينه، لا ظله.
وماذا عن الغد؟

لا بد أن شيئاً يجتاح هوائياتي

ألفيتُ نفسي منخرطة في البكاء، عند نهاية المستشفى العام،
أقسم بأن ذلك الحق،
أسوأ مسلسل تليفزيوني،
أرخص الأغاني،
كلمة وداع، فوق منصة،
أو بالون متفجر، في يد طفل،
ذلك هو ما يقتضيه الأمر
لأستشعر غصة في حلقي،
تتقد عيناي مثلما حمض يتوهج،
يطرم أنفي،
يخفق فؤادي،
يضطرب تنفسي،
ربما ستهمي الدموع،
وتحمر عيناي،
أعرف حيل الأفلام وأساليبها،
درست كيف تتلاعب الكمان بنا،
وأنفقت حياتي أشجب دوريس داي،

ولكن في غمار المستشفى العام
تجمَّع بداخلي شيء كالسحب،
تحدَّر شيء ندي، ملحي، على خدي،
حجراً سأكون عندما أتلقى نبأ موتك،
قوائم المقعدين تخرج من الطائرة،
وصديقك الصدوق يعرج،
أعلم أنهم قتلوا أختك، عند منعطف ما،
والأطفال في الأحياء البائسة يتبلغون بالقطط والكلاب،
إن عثروا عليها.
ضربتك البطالة خمسة عشر شهراً،
وان عاملاً آخر ضُرب بالهراوات،
ضجة عصا تنهال على كتف.

لا يعروني التأثر،
لا يعروني التأثر،
لا بد أن المرض بلغ مني،
خائفة أنا،
جد خائفة،
مما حدث لي.

الهاتف. مكالمة خارجية.

أنباء سيئة

وماذا لو أن دورك حان؟
لو أنك كنت المقصود
هذه المرة؟
قبلما يفوهون ببنت شفة،
قبلما يضيفون كلمة واحدة،
مثل قطة تسري في الظلمة،
تجتاحني ذكراك،
كأنها لطمة،
تجتاحني
جئتك
شأن قطة شهباء تسري، فتتناثر
الظلمة،
لكنه اسم شخص آخر، اسم
شخص آخر،
فجأة
يتطاول كل شيء، على حين غرة،
متصلباً، وملتوياً،

كأظافر في يد تدنو،
فجائية،
يغمرني طوفان
الرعب المتوحد للارتياح؛
لأنه ليس
أنت.
أنَّى لي الشعور
بهذا الارتياح العصي على الإفصاح،
كالقطط،
القطط القذرة،
التي أكتم أنفاسي كي لا أضطر للنظر إليها،
أنَّى لي الشعور بهذا الارتياح
لأنك هذه المرة
لم تكن
المقصود؟

أدون الحقائق بعناية. أضع مسماع الهاتف موضعه. وأشرع في الاتصال بالصحف، واحدة إثر الأخرى؛ لأدلي لها باسم الرفيق الذي اعتقل، اسم الرفيق الذي لم أعرفه.

الهاتف. مكالمة خارجية. يقول صوت مألوف:
أنباء سيئة، علينا أن ننظم حملة.

وهذه المرة؟
منذا تراه
هذه المرة؟
إبدأ في إعداد الخطط
هذه المرة، والمرة
المقبلة

تعلم أن تعقد
الصلات،
نوِّع
استخدام
الصلات!

قس كم يتضاءل
وينكمش المجال
المتاح في الصحف!

صلات،
وثِّق عُرى الصلات
على نحو ما يحفظ الآخرون مدخراتهم،
أو ثيابهم الأثيرة،
أو النبيذ في قبو طيب،

ليوم آخر،

ومكالمات أخرى،

لأصدقاء

ما وقعوا فريسة بعد،

رفاق من الأقارب، رفاق من المقاتلين

ما وقعوا فريسة بعد.

صلات،

تعلم ألا تسيء

استخدام

صلاتي اللعينة!

أتدري؟

إننا نقدر مرتبة حياة

وموت

الآخرين،

بالسهولة ذاتها، التي اعتدنا

أن نعدّ بها قوائم التسوق

لاحتياجات اسبوع.

ألا فليرحمنا الله!

أدون الحقائق بعناية.. أضع مسماع الهاتف موضعه. وأشرع في الاتصال بالصحف، واحدة إثر الأخرى، لأدلي لها باسم الرفيق الذي اعتقل، اسم الرفيق الذي لم أعرفه.

مناورات

كتبتُ على الدوام من رحاب الشاطئ،
من رحاب الشاطئ الخالد الداني،
الذي يستطيع أي كان أن يضربه، كأنه خيمة في صحراء،
أو ساحل دونما جزيرة في قلب البحر.

أعرفُ،
أن ليس لدى المد والجزر إلا القليل ليحدثا به البحر،
الكل يعرف هذا،

رغم أن الأمواج والأسماك تُقْبِل،
رغم أن القناني أو السفن تمضي،
رغم المرافئ والهوات وصخور الحيد،
ومع التغيير الهائل في أمواج المد عند المراسي،
فإن المحيط لا يلقي بالاً،
للساحل، حيث يتنازع الماء والصخر
قطرتهما الضئيلة المهجورة من التميز.

إذا ما قورن بالأثقال الهائلة، بممالك تحت البحر،

بالزلازل توشك على الانقضاض، الهوات،
التي هي مولد القمر،
الأغوار التي تتحلل فيها القمامة،
الزئير الذي جلب الرخويات الأولى من رحاب البركان،
ما جدوى هذا الشاطئ حيث أعكف على الكتابة
هذا المفرش الذي لا مائدة له حيث أقرر تناول الطعام!
ما هذا بالصوت الوحيد الذي يندّ عني.
أنظر إلى القدمين الحافيتين!
أمن الخطأ أن نغني عن شيء في بساطة
الحذاء؟
ترى أينبغي علينا نسيان تجويف اللسان المجتث؟
ولئن ساد الظلام أينبغي أن نكف عن تمجيد الشمس؟
أنظر إلى تلك اليد التي تصافح يداً أخرى!
وبدون القبضة التي تشجب، ولا يداخلها الشك قط،
يستعصي على الأصابع الرشيقة،
التي ينبغي أن تعزف ألحان باخ،
أن تواصل الحياة.
أنظر إلى تجويف اللسان المجتث!
حدّق في الأقدام الحافية!
أمعن النظر في الأصابع الرشيقة،
وقد انشبت في القمامة،
بحثاً عن الوجبه الأولى منذ أمس الأول!
ألن يقدر لنا قط
ألن يقدر لنا القول بأننا سنقاتل
قتالاً مجيداً،
ورغم ذلك سأعرف دوماً ما تعنيه الحياة دونما رقاد،
وبغير تمام اليقظة،
شأن حلم يحوّله البحر إلى جلد

كهذا، على جنح الحياة التي تحلق، كهذا، كهذا فحسب.
دعني أقل لك إنه ليس باليسير
أن يكون المرء جزيرة من ماء في قلب البحر.

معجم

- 1 -

ولكن كيف أروي حكايتهما

وما كنت هناك؟

عندما التقى اثنان منهم،

بعيداً،

في منعطف طريق غير مألوف،

ما استطاعا أن يعرفا

ألقاء البدء كان،

أم الوداع،

ما استطاعا أن يعرفا منذا الذي يختلس النظر إليهما،

من مربع

تلك النافذة.

يشي بكل حركة،

بكل نأمة تجترحها شفاههما،

كنت أتطلع إليهما من بلد آخر،

وما استطعت أن أروي حكايتهما.

رحت أتصل بهما من بلد آخر،

وكان الهاتف مشغولاً على الدوام.

- 2 -

أرني كلمة بمقدوري استخدامها!
أرني فعلاً واحداً!
صفة في نصاعة شعاع نور!
أصغ إلى قرار كل جملة،
إلى العلية والغبار في أثاث
كل عبارة!
أرهف السمع!
أصغ، وانظر تحت فراش
كل جملة،
إلى الجنود المنتظرين لدورهم،
بين يدي،
فراش العروس،
ألا فلتحفظ كلمة واحدة!
ما معنى الوجود؟
مثلما سؤال في عرض هزلي،
إن كان بمقدورك حمل كلمة
إلى رحاب المستقبل،
فما عساها تكون؟
ألا فلتعثر عليها!
ألق بنفسك في كوم القمامة!
إدفع بيديك عميقاً إلى السبخة!
أطبق قبضتك على شظية مرآة،
هشمتها أقدام ترقص، فيما كان ينبغي أن يكون ليلة عرس!
دعني أحدثك بأمر!
حتى إن كنت هناك،
لما استطعت أن أروي حكايتهما.

- 3 -

كنت أتصل من بلد آخر،
والهاتف ما يزال مشغولاً،
أحاول الاتصال بالوطن،
وقد التقم الجهاز
دانقي الأخير.

- 4 -

اما عن الحكاية التي لا أملك أن أرويها،
فإنهما ادخرا الحنان، مثلما يكنز الآخرون المال.
سلوهما!
حتى إن كان الهاتف مشغولاً،
حتى إن التقم الجهاز دانقي الأخير،
حتى إن كان عامل الهاتف يعرف كل الأصوات الأخرى.
سلوهما عن الشعر الذي سيواصل عشاقنا التوق إليه،
إن أردنا ذات يوم أن نستحم،
في النهر ذاته،
دعوهما يفصحان عن خلجاتهما!

مُخْتَتَمْ

مشكلات مع الأبواب

يصمد، بالطبع، صلداً،
وقاتماً، ويوصد

باباً إثر الآخر،
خلال الانتاج الكبير
بأسره، على أياد
لا تري النور، ولا تتوهج.

باب وراء الآخر
موصداً يسجن الليل بأسره
هنالك يمضي ظل الحارس في الخارج،
داخل بؤبؤي السجين،
المؤرق،
وحزمة المفاتيح،
بالطبع، في يد
ذلك الظل، الذي لا يتراجع،
الذي يسير ويرقب.
وصامدة لا تزال تحت أقفال أخرى،
متصلبة، في غضون ذلك،

أذن امرأة تنتظر
وقع خطى الزوج،
الذي ما عاد لها،
فما يصل أبداً.

قفل وراء الآخر،
خلال الانتاج الكبير
بأسره، على أياد
لا ترى النور، ولا تتوهج،
ليس من بينها ذلك
الذي يمضي خارجاً،
ولا يصمد،

ولا يزال يتصلب، في آماد أخرى،
فيما الطفل الذي يستيقظ،
في الغرفة المجردة من الأبواب،
في أغوار هذا الشيء، الذي يمتد، ويتطاول، بلا
انتهاء،

وأحدهم،

أحدهم يتحمل
ذلك الظل، الذي يسير، ويرقب،
ولا يتراجع.
أوصد لتوه النافذة الأخيرة،
طوى الشمس بين ظفر وعقلة إصبع،
داخل بؤبؤي سجين مؤرق،
هنالك يمضي ظل الحارس الذي يزداد عتمة
هنالك المفتاح
يبدع اليد،
التي تنتج طوال الليل،
يجعل اليد
تمتلئ بالدهاليز،
هنالك هو، ألم أقل لك
هنالك هو، هنالك
هو
المفتاح
بالطبع، في جلاء.

الفهرس

صفحة

صدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات

العنوان	النوع	المؤلف
● كلنا .. كلنا .. كلنا نحب البحر	قصص قصيرة	لعدد من كتاب القصة في الإمارات
● قصائد من الإمارات	مختارات شعرية	لعدد من شعراء الإمارات
● السمكة الصغيرة	قصتان	تأليف : صمد بهرنجي ترجمة : علي عبد العزيز الشرهان وعمر عدس
● صلاة العيد والتعب	شعر	عارف الخاجة
● معجم القوافي والألحان في الخليج العربي		فالح حنظل
● أطفال آخر الزمان	رواية	تأليف : عزيز نيسين ترجمة : عمر عدس
● الرجل العاشر	رواية	تأليف : غراهام غرين ترجمة : مصطفى كمال
● الأرواح تسكن المدينة	قصة	أنور الخطيب
● شدو الزمن	شعر	سلطان خليفة
● سالم بن علي العويس	دراسات ومقالات لعدد من الكتاب	جمع واعداد : عبدالاله عبد القادر
● فيروز	قصص	مريم جمعة فرج
● مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور	شعر	سيف الرحبي
● جغرافية الفردوس	شعر	جعفر الجمري

• سلطان العويس تاجر استهواه الشعر	دراسات ومقالات لعدد من الكتاب	جمع واعداد : عبدالاله عبد القادر
• وردة للوطن وقبلة للحبيبة	شعر	عمر أبو سالم
• أبحاث الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات العربية المتحدة		
• تاريخ الحركة المسرحية في دولة الإمارات 1960 – 1986	دراسة	عبدالاله عبد القادر
• 12 قصة قصيرة		مجموعة من الكتاب
• فنجان قهوة		عبدالله عبد الرحمن
• هذا هو الساحل أين البحر	شعر	مؤيد الشيباني
• بحثاً عن النهر	شعر	رأفت السويركي
• علي بن المسك التهامي يناجي قاتليه	شعر	عارف الخاجة
• الرحلة العجيبة	قصص يابانية	ترجمة : فكري بكر
• الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عُمان وبريطانيا 1806 – 1971		علي محمد راشد
• ميادير	قصص	ناصر جبران
• ألطحلب	قصص قصيرة	إبراهيم مبارك
• عندما تدفن النخيل	قصص	ناصر الظاهري
• خلفان بن مصبح	دراسة	اعداد : شوقي رافع
• طفول	قصص	سعاد العريمي
• ندوة الأدب في الخليج العربي — الجزء الأول		
• الصراع حول مضيق هرمز	دراسه	عبيد طويرش
• القالس الأخير في سنتياجو وقصائد أخرى للمنفى والاختفاء	شعر	أربييل دورفمان ترجمة : كامل يوسف حسين



صدر للمترجم

- الاغتراب ـ ريتشارد شاخت ـ بيروت.
- الموت في الفكر الغربي ـ جاك شورون ـ بيروت.
- بريشت ـ بيتي نانسه فيبر ـ بغداد.
- الحب والقوة والعدالة ـ بول تيليش ـ القاهرة.
- الشجاعة من أجل الوجود ـ بول تيليش ـ بيروت.
- في ساعة نحس ـ جابرييل جارسيا ماركيز ـ بغداد.
- ايريندرا البريئة ـ جابرييل جارسيا ماركيز ـ دبي.
- نولب ـ هرمان هسه ـ بيروت.
- تحريات كلب ـ فرانز كافكا ـ بيروت.
- مقدمة المهابهارتا ـ ج. فان بوتينيني ـ بغداد.
- البحر والسمر ـ شوساكو إندو ـ بيروت.
- السيدة دي ساد ـ يوكيو ميشيما ـ الكويت.
- ثلج الربيع ـ يوكيو ميشيما ـ بيروت.
- علمنا أن نتجاوز جنوننا ـ كينزابورو أوي ـ بيروت.
- المرأة في الرمال ـ كوأبي ـ بيروت.
- التاريخ السري لأمير موساشي ـ جونتشيرو تانيزاكي ـ بيروت.
- البطة والقمر ـ ليوتولستوي ـ بغداد.
- حكايات بوشكين الخرافية ـ الكسندر بوشكين ـ بيروت.

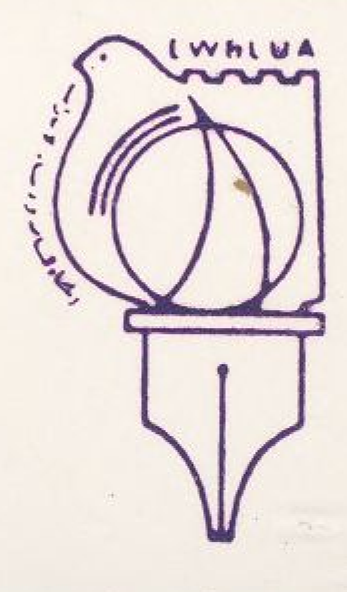
هذا الكتاب

- من هذه المنمنمات السحرية الدقيقة تتكامل لوحة بعرض الحياة ذاتها، حياتنا. وهذه اللوحة ليست صورة طبيعية، أو واقعية، أو نسخة من الواقع المعاش هناك، وإنما هي نتاج فهم، استيعاب، مداخلة الشاعر مع هذا الواقع، وتصوره له، هكذا فإنها بقدر واقعيتها تبدو مفارقة للواقع، ومفارقة له ربما إلى حد الهذيان.

- وكل تجربة من هذه التجارب الجزئية تملك خصوصيتها، فهي تجربة فرد أو مجموعة أفراد، عائلة أو صحبة من الأصدقاء، بل وربما مجموعة من الأطفال، وباختصار فإنها تجربة بشر بعينهم، تحددت، من حيث الزمان والمكان، بأرض تشيلي في ظل حكم بينوشيه، أو فلنقل تحت ظلال الرعب والوحشية.

- هذا الرحيل المذهل بين الخاص والعام، بين الجزئي والكوني، بين الانقطاع والتجاوز، هو النسيج الذي تجترحه عبقرية دورفمان. مع ذلك، فإن الشاعر التشيلي المتميز لا يضعنا أمام متاهة، نضرب في رحابها حد الهذيان، وإنما هو، منذ البداية يحرص على أن ينير لنا طريقنا، أو إن شئنا الدقة، يحرص على أن يقدم لنا خارطة اللحاق به.





السعر 15



منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات